

يوسف بكار ناقدًا

أحمد الخطيب*

مقدمة:

تأتي هذه الدراسة بعنوان (يوسف بكار ناقدًا) لتميط اللثام عن هذا الباحث والنقاد، وتكشف عن أهم مؤلفاته، ودراساته، ودوره الكبير في حركة النقد الأدبي في القرن العشرين.

لقد قمت بدراسة حياة الناقد، ثم تناولت أهم أعماله ومؤلفاته بشكل عام، وقدّمت ملخصًا موجزًا عن ثمانية مؤلفات له، ودرست كتاب (بناء القصيدة في النقد العربي القديم) بالتفصيل، فتحدّثت عن فصوله ومحتواه، ورؤية بكار حول النقد العربي القديم والحديث للقصيدة العربية، وأهميّة الكتاب على المستوى النقدي، إذ يعدّ مرجعًا لكلّ دارس للنقد القديم، وقد أظهر الباحث أنّ المناهج النقدية الحديثة لا تختلف في نظرتها إلى القصيدة العربية عن النقد القديم، وأنّ أصولها تنبع من النقد القديم، كما بيّن الباحث أنّ هناك كثيرًا من القضايا المتعلقة بالقصيدة تحتاج إلى دراسة وتقويم من قبل النقاد والباحثين.

يوسف بكار ناقدًا:

حياته:⁽¹⁾

ولد الباحث والنقاد والمترجم الأستاذ الدكتور يوسف حسين بكار في منطقة جسرِ المواقع في الأغوار الشماليّة في الأردن، كان ذلك عام 1942م، تلقى تعليمه المدرسي في

* باحث وكاتب - رام الله - فلسطين.

¹ - نظرًا لقلّة ما كتب عن بكار لأنه لا يزال على قيد الحياة، فقد اعتمدت في ترجمة حياته جميعها على: عرود، ياسين خليل، مناهج النقد الأدبي في الأردن في النصف الثاني من القرن العشرين، ص

http://www.alrewaia.com • http://www.culture.gov.jo .165-145

مدارس الأغوار، تخرّج في معهد المعلّمين بعمّان عام 1960م، ثمّ التحق بجامعة بغداد للحصول على اللّقب الجامعيّ الأوّل (البكالوريوس) في اللّغة العربيّة وآدابها عام 1965م، ثمّ التحق عام 1967 بمعهد البحوث والدرّاسات العربيّة، فحصل على درجة الدبّلوم العالي، ثمّ التحق بجامعة القاهرة وحصل منها على درجة الماجستير، وفي عام 1972م تخرّج في جامعة القاهرة نفسها بدرجة الدكّتوراه في النّقد الأدبيّ، وكانت أطروحة الدكّتور بعنوان "بناء القصيدة في النّقد العربيّ القديم في ضوء النّقد الحديث"، وهو يتقن - إضافة إلى العربيّة - اللّغتين الفارسيّة والإنجليزيّة. عمل في حقل التّدريس منذ أن تخرّج في جامعة بغداد، فدرّس في مدارس إربد، وفي كليّة الحسين بعمّان، وعمل في جامعة مشهد لمدة ستّ سنوات، وعاد عام 1978 إلى الأردنّ لينضمّ إلى جامعة اليرموك، الّتي صبّ فيها جلّ عطائه، ولمع وذاع صيته في البحث والنّقد.

لم يكن يوسف بكار مجرد أكاديميّ محاضر، بل شغل - نتيجة علمه وخبرته - عدّة مناصب إداريّة، مثل: عضويّة لجنة البحث العلميّ في الجامعة الأردنيّة وجامعة العلوم والتكنولوجيا، واللّجنة الوطنيّة العليا للبحث العلميّ التابعة للمجلس الأعلى للعلوم والتكنولوجيا، ولجنة إعداد شروط ومعايير الإنتاج العلميّ للتّرقية في اليرموك، ولجنة ندوة الإسلام والغرب في جامعة اليرموك.

كذلك شارك بكار في الإشراف على عدد من رسائل الماجستير والدكّتوراه ومناقشتها، سواء على الصّعيد الأردنيّ أو العربيّ، وقام بفحص عدد من الأبحاث والدرّاسات المقدّمة للتّرقية إلى رتبتي أستاذ وأستاذ مشارك في عدد من الجامعات، مثل جامعة سعود الرّياض، وجامعة بغداد، وجامعة فرجينيا الأمريكيّة.

ترك بكار إرثًا أدبيًّا قيّمًا، فقد كتب عدّة أبحاث ودراسات، وألّف عددًا كبيرًا من الكتب الأدبيّة والنّقدية، منها: اتّجاهات الغزل في القرن الثّاني الهجريّ (رسالة

المجاستير)، وبناء القصيدة في النَّقد العربيِّ القديم في ضوء النَّقد الحديث (رسالة الدُّكتوراه)، وقراءات نقدية، وقضايا في النَّقد والشِّعر، وفي العَروض والقافية، والأدب العربيِّ (من العصر الجاهليِّ حتَّى نهاية العصر العبَّاسيِّ) بالاشتراك مع آخرين، والوجه الآخر، والتَّرجمات العربيَّة لرُباعيَّات الخيام، والأوهام في كتابات العرب عن الخيام، ومن بوادر التَّجديد في شعرنا المعاصر، وأوراق نقدية جديدة عن طه حسين، وفي النَّقد الأدبيِّ (إضاءات وحفريات)، ومنهج قراءة النَّصِّ العربيِّ (بالاشتراك مع آخرين)، والعروض والإيقاع (بالاشتراك مع د. خليل الشَّيخ)، والرَّحلة المنسيَّة: فدوى طوقان وطفولتها الإبداعية، ونحن وتراث فارس، وعصر أبي فراس الحمداني، وسادن التُّراث: إحسان عبَّاس، والعين البصيرة: قراءات نقدية، والتَّرجمة الأدبية: إشكاليَّات ومزالق.

وقد كان له باع في التَّحقيق والببليوغرافيا، ومن أهمِّ ما حقَّق: قصيدة النَّاشئ الأكبر في مدح النَّبيِّ ونسبه، وشعر ربيعة الرَّقيِّ: جمع وتحقيق ودراسة، وشعر زياد الأعجم: جمع وتحقيق ودراسة، وشعر إسماعيل بن يسار النَّسائي: جمع وتحقيق ودراسة، وعمر الخيام والرُّباعيَّات في آثار الدَّارسين العرب، ورُباعيَّات عمر الخيام: ترجمة مصطفى وهي التِّلِّ-عَرار (تحقيق واستخراج أصول الدِّراسة).

أمَّا في مجال التَّرجمة فقد كانت ترجمته من الفارسيَّة إلى العربيَّة، وأشهر كتاب ترجمه إلى العربيَّة كان كتاب سياسات نامة (سِرِّ الملوك) لنظام الملك الطُّوسي، ودراستان من وشو: كتاب قصَّتي مع العنتر "لنزار قبَّاني" إلى الفارسيَّة، وكزيدة أي أز، شعر عربي معاصر (ترجمة كتاب مختارات من الشِّعر العربيِّ الحديث للدُّكتور مصطفى بدوي).

وكتب عددًا كبيرًا من البحوث والمقالات التي نشرت في المجلَّات والدُّوريات، منها: نازك الملائكة وبداية الشِّعر الحرِّ- مجلَّة الأقلام/ بغداد، فدوى طوقان ودورها في

أدب المقاومة في الأرض المحتلة - مجلّة البيان/ الكويت، وأثر القرآن في شعر حسّان بن ثابت - مجلة كليّة الإلهيات والمعارف الإسلاميّة/ جامعة مشهد، والفارسيّة وآدابها في البلاد العربيّة - مجلة كليّة الإلهيات/ جامعة الفردوس، وكوميديا الشّرق الإلهيّة جاويدنامة محمّد إقبال/ حلقات في جريدة الرّأي.

ولم يكن حظّه من المشاركة في المؤتمرات الأدبيّة والنّدوات العلميّة بأقلّ من ذلك، فقد شارك في عدد منها، وقدّم فيه أوراقًا وبحوثًا قيّمة، منها: المؤتمر الدّولي الثّالث لتاريخ بلاد الشّام، عمّان/1981م، وندوة شوقي وحافظ بمناسبة مرور خمسين عامًا على وفاتها، جامعة القاهرة/1982، ومؤتمر الدّكرى التّاسعة لطله حسين، جامعة البنّا، مصر/1983، ومؤتمر اللّغة العربيّة في الجامعات العربيّة، الجزائر/1984، وندوة تأثيرات التّعديرات الاجتماعيّة في الأدب العربيّ المعاصر، جامعة ما بناد تيرالا، الهند/1985، والمؤتمر الدّوليّ الرّابع عشر للفنون وتبادل المعلومات، مدريد/1987.

تقديرًا لجهوده في البحث العلميّ وإسهاماته في حركة النّقد والأدب حصل على عدد من الجوائز، منها: جائزة التّفوّق في التّدريس/جامعة مشهد 1973، وجائزة التّفوّق في البحث العلميّ/ جامعة اليرموك 1984، وجائزة الدّولة التّقديرية في الآداب، الأردن 1992، كما حصل على عدد من شهادات التّقدير من كلّ من نادي الحسرة الثّقافيّ، واللّجنة العليا لمعرض الدّوحة الحادي عشر للكتاب مركز الوطن العربيّ (رؤيا) بالإسكندريّة، وأقام المركز ندوة تكريمًا له بعنوان (الدّكتور يوسف بكار باحثًا وناقدًا لعام 1989).

يعدّ بكار من أهمّ النّقّاد البارزين في النّقد الأدبيّ في الأردن في النّصف الثّاني من القرن العشرين، سواء أكان ذلك من حيث الإنتاج الأدبيّ، أم من حيث الدّقّة البحثيّة، والمنهجيّة النّقديّة التي يعتمد عليها في مناقشة القضايا التي يختارها، لكنّ الملاحظ على نقده أنّه لم يأت دراسات متكاملة في موضوعها، لكنّها جاءت متكاملة في

منهجها الذي اعتمده، وهو المنهج التاريخي، وأهم ملامحه التي تحدت عليها منظرو هذا المنهج وأهمهم لانسون، فجاءت ممثلة تمثيلاً قوياً لهذا المنهج من خلال بيانها لدور البيئة والنشأة واللحظة التاريخية في تكوين النص⁽¹⁾.

والمقصود بعدم تكاملها أنّها جاءت مجموعة من الأبحاث والدراسات والمقالات والمشاركات التي قدمها الناقد في مناسبات ومؤتمرات وندوات، ثمّ جمعها في مجموعات متقاربة في هدفها، وأصدرها في كتب، ويمثّل كلُّ كتاب منها الرُوح الدأخلية لما يشمل من هذه الأبحاث كما يرى بكار⁽²⁾.

موقف بكار من الثقافة.. تبعية أم توازن

أشار بكار في الندوة التي نظّمها رابطة الكتّاب ضمن برنامج ملتقى السبب الأدبي في عمّان إلى أنّ مصطلح الثقافة يراد به الثقافة المثالية التي تعني الأخذ والعطاء الثقافيّ بين الدّات والآخر المتعدّد، ودعا إلى حوار حضارات وثقافات حقيقيّ جادٍ ومنفتح، وقال: إنّ من المؤمنين بالانفتاح الطّوعيّ الضّروريّ المناسب على الآخر أيّاً يكن، وليس من أنصار الانغلاق العبئيّ على الدّات، ورفض أن يفرض علينا الغرب سلعه، وفي الوقت نفسه عارض بشدّة صدام الحضارات التي ابتدعها فرنسيس فوكوياما الأمريكيّ، ويرى أنّ علماءنا مقموعون وكفاءتنا محاربة، فلا تحتلّ الكفاءات مواقعها الصّحيحة، ولسنا أمناء في نقل ثقافتنا للغرب، ولا نعمل لقضايانا الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، ويشير إلى أنّنا نعيش منذ الخروج من الأندلس على هامش التّاريخ الحضاريّ للإنسانية، ويرى أنّنا نملك موروثاً حضاريّاً وثقافيّاً لم

¹- ينظر: عرود، أحمد ياسين، مناهج النّقد الأدبيّ في الأردن في النّصف الثّاني من القرن العشرين، ص 145، 165.

²- ينظر: المرجع نفسه، ص 146.

نفلح في قراءته قراءة تسمح بتجاوزه أو البناء عليه، كما فعل الغرب بترائه القديم اليوناني والرُّومانيّ، مشيرًا إلى أنّ الغرب غير مستعدّ للاعتراف الحقيقيّ بنا وبثقافتنا في عصر العولمة الذي نفتح عليه انفتاحًا مزدوجًا يجمع بين القسريّة والتلقائيّة والعشوائيّة، أمّا عن عدم إنتاجنا فقد عزاه لسببين: خارجيّ يصر على إبقائنا في حالة تخلفٍ وضعف، وداخليّ يتمثّل في رغبة ذاتيّة بالمحافظة على التّخلف، بدليل الخلافات بين العرب أنفسهم. وأشار إلى أنّ العرب لم يتمثّلوا أهميّة تاريخهم الحضاريّ والفنيّ، وجلّهم فقدوا رؤيتهم لإنجازاتهم وقطعوا حبال الذّاكرة ولاذوا بالصّمّت، ووصف الأُمّة العربيّة بأنّها أُمّة كسلانة بسبب الصّراعات خاصّة داخل البلد الواحد، ويرى أنّ المتعصّبين للتّراث أخطر من المتعصّبين ضدّ التّراث، ففي الوقت الذي نملك فيه تراثًا ضخمًا فإنّ هذا التّراث غير مقدّس، وتناول رأي إدوارد سعيد المفكّر العربيّ في كتابه "العالم والنّصّ والتّناقد" بقوله: "بدلوا جهودًا حثيثة جدًّا في محاولتهم جلب نظام للقراءة يضيّق الخناق إلى أقصى حدّ ممكن على القارئ وظروفه، وأيد ما قالته سلى الخضراء الجيوسية: "إنّ الثّقافة العربيّة ليست ثقافة مغلقة ولا انعزاليّة، بل هي ثقافة إنسانيّة منفتحة قائمة في جزء كبير منها على الضّرورة الإنسانيّة... فكيف تقلّصت في أعين الغرب تلك الفضائل إلى مجرد نزعات أصوليّة متعصّبة واقتتاليّة، أو إلى صورة ساخرة للجمل والصّحراء ونساء الحرّيم؟ وأشار بكار إلى رأي الدكّاتور صلاح جرّار: "الاستفادة من الفكر الإنسانيّ، أينما كان، أمر لا غبار عليه، ما لم يصل إلى حد التّبعية والاستلاب... لكننا لا نجد في المقابل كاتبًا أو مثقّفًا أو مفكّرًا أجنبيًّا يحيل إلى مرجع عربيّ أو مفكّر عربيّ فيما يكتبون إلّا في أقلّ القليل⁽¹⁾.

¹ - ينظر: www.alghad.com/index.php

أهمُّ مؤلِّفات بكَّار:

سأتحدّث عن ثمانية كتب بصورة موجزة، من حيث القضايا التي عرضها الكاتب، وسأتحدّث عن كتاب بناء القصيدة في النّقد العربيّ القديم (في ضوء النّقد الحديث) بالتّفصيل، من حيث منهج الكاتب، والقضايا التي عالجها، خاصّة وأنّ الكتاب هو الأطروحة التي قدّمها بكَّار إلى جامعة القاهرة لنيل درجة الدكتوراه:

1- في دائرة المقارنة (دراسات ونقود): جاء الكتاب في 232 صفحة من الورق الكبير، وصدر عن دار فضاءات في عمّان، يشتمل الكتاب على قسمين: القسم الأوّل يضمُّ أربعة أبحاث: ثلاثة منها في التّأثيرات الأدبيّة واللّغويّة بين العربيّة والفارسيّة، والمبحث الأخير منها يتحدّث عن قِدَم التّأثير التّركي في الشّاعر أحمد شوقي، الذي ظهر من خلال مسرحيّته (مجنون ليلي)، وفي تأكيد واضح على تأثر الأدب التّركي بالأدب الفارسي، مع عدم النّسيان أنّ بكَّار عمل في جامعة مشهد الفارسيّة، وترجم عددًا من المؤلِّفات من الفارسيّة إليها.

أمّا القسم الثّاني ففيه تعريفات بتسعة كتب في الأدب المقارن العربيّ الشّرقيّ الإسلاميّ، والعربيّ الغربيّ، ونقود لها. وقد صدرت جميعها من مهتمّ بالنّقد والأدب المقارن، ومتتبع لما يصدر من مؤلِّفات ودراسات في هذين الحقلين. الكتاب يأتي امتدادًا للكتب النّقدية والأدبيّة التي ألفها سابقًا، ومنها: اتّجاهات الغزل في القرن الثّاني الهجريّ، وبناء القصيدة في النّقد العربيّ القديم، وقضايا في النّقد والشّعر، والأدب العربيّ من العصر الجاهليّ حتّى نهاية العصر العبّاسي⁽¹⁾.

¹- بكَّار، يوسف حسين، في دائرة المقارنة.. دراسات ونقود، عمّان: دار فضاءات للنشر والتّوزيع،

2- الأدب المقارن: الكتاب أُلّفه بالاشتراك مع خليل الشَّيخ، ويقع في 384 صفحة، صدر عام 2010 عن الشَّرْكة العربيَّة المتَّحدة للتَّسويق والتَّوريدات، وهو يتتبع نشأة الأدب المقارن التَّاريخيَّة وتطوُّرها، يبيِّن كيف نما هذا العلم، والصُّعوبات الَّتِي واجهت المتخصِّصين في هذا الحقل، ويشير إلى المفاهيم الإشكاليَّة الَّتِي أدَّت إلى خلق تعدُّدية مفاهيميَّة، كان يعرف بالمصطلحات الموظَّفة عند مقارنة النُّصوص الأدبيَّة، ثمَّ يتبيَّن المناهج الشَّائعة في العالم ويفرِّق بينها (الأمريكي، والفرنسي، والسُّلافي، والعربي)، ويحلِّل النُّظرة الاستشراقيَّة، ويبيِّن تأثيرها بالأدب المقارن، ويحلِّل المواقف المتعدِّدة من الاستشراق، ويدرك علاقات الأدب العربيِّ القديم والحديث بأداب الأمم الأخرى.⁽¹⁾

3- حفريَّات من تراثنا النُّقدي: يقع الكتاب في 219 صفحة، وصدر عن دار المناهل للطباعة والنَّشر والتَّوزيع، وهي عشر حفريَّات، في كلِّ واحدة منها قضية جديدة من قضايا النُّقد الَّتِي لم تحظ باهتمام النُّقاد من قبل، والَّتِي تُظهر مدى اهتمام النُّقاد القدامى بنقد النُّقد، وأنَّ المفاهيم العصريَّة كانت حاضرة في أذهان النُّقاد القدامى، فالصُّورة التَّشخيصيَّة كانت حاضرة في عقول النُّقاد القدامى، ومصطلح (عكس الظَّاهر) يقترب من مفهوم المدرسة النُّقديَّة التَّأويليَّة الحديثة، الَّتِي لها دور مهمُّ في النَّصِّ، كما تناولت الدِّراسة مصطلحات المقايسة النُّقديَّة، ونقد الشِّعر بالشِّعر، واعتناء النُّقاد بـ (مقدِّمة القصيدة). وكانت الحفريَّتان الأخيرتان لكتابي خريدة القصر وبتيمة الدَّهر.⁽²⁾

¹- بكَار، يوسف حسين، الشَّيخ، خليل، الأدب المقارن، عمَّان: جامعة القدس المفتوحة، ط1، 1996.

²- بكَار، يوسف حسين، حفريَّات من تراثنا النُّقدي، بيروت، عمَّان: دار المناهل، دار الرُّائد، ط1، 2007.

4- إبراهيم طوقان أضواء جديدة: يقع الكتاب في 167 صفحة، وصدر عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر عام 2004، والكتاب ناتج عن دراسة معمّقة لحياة إبراهيم طوقان وموضوعات شعره وخصائصه العامّة، وتركّز على قضايا ومسائل فنيّة جديدة مهمّة، كان محورها الأوّل إبداع الشّاعر من زوايا خمس، أمّا المحور الثّاني فتناول فنيّة الدّات الشّاعرة، ونفوذ الآخر المتعدّد فيها، والأخير يتناول عناصر التّجديد في الموضوعات والقوالب الشّعريّة، واتّخذ من قصيدة مصرع بلبل أنموذجًا للدراسة.⁽¹⁾

5- الرّحلة المنسيّة، فدوى طوقان وطفولتها الإبداعية: يقع الكتاب في 198 صفحة، وصدر عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر عام 2000، وقد جاء الكتاب مكتملاً للرّحلتين الصّعبة والأصعب، اللّتين كتبتهما الشّاعرة نفسها، ويضمّ الكتاب كتابين: الأوّل لطفولتها الشّعريّة، واستطاع الشّاعر أن ينشر فيها ثلاثين نصًّا ممّا لم تنشره في ديوانها الأوّل (وحدى مع الأيّام)، والثّاني لطفولتها النّثرية الّتي كانت فيه بذور الأدب ولكن قبل كتّيبها (أخي إبراهيم)، وتبلغ ثمانية نصوص تجمع بين التّعقيب الأدبيّ واللّغويّ، والمقال النّقديّ الانطباعيّ، وهي تدلّ دلالة قاطعة على مدى سعة اطلاع فدوى وذوقها الفنّيّ وحسّها الأدبيّ المرهف، وعلى شغفها بالأدب والشّعر، وثقافتها الواسعة، ومتابعتها الدّقيقة الواسعة للحركة الأدبيّة في الوطن العربيّ.⁽²⁾

¹ - بكّار، يوسف حسين، إبراهيم طوقان (أضواء جديدة)، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 2004.

² - بكّار، يوسف حسين، الرحلة المنسيّة-فدوى طوقان وطفولتها الإبداعية-دراسة ونصوص، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2000.

6- حوارات إحسان عبّاس: يقع الكتاب في 217 صفحة، صدر عن المؤسسة العربيّة للدراسات والنّشر عام 2004، ويضمُّ الكتاب 18 حوارًا أجراها مع الأديب إحسان عبّاس بدءًا بعام 1970 وانتهاء بعام وفاة عبّاس 2003، وهي حوارات مهمّة، تجد تفصيلًا لها في كتاب غربة الرّاعي، وتغصُّ بأرائه الصّريحة في جوانب شتّى من المعرفة والحياة، وتلقي الضّوء على قضايا مهمّة في الشّعر الحديث عامّة، والفلسطينيّ خاصّة، وعلى الرّواية العربيّة عامّة والفلسطينيّة خاصّة، لا سيّما عند كنفاني، وحبّيب، وسحر خليفة، وجبرا، وعلى النّقد الحديث وترجمة الشّعر، والحداثة، الّتي ركّز فيها على إدوارد سعيد، وهو يرى أن (لا حدائِيّ سواه) في حين أنّ الآخرين مترجمون، وفيها اعتراف بفضل عدد كبير من أساتذته في فلسطين ومصر، واعتراف بمن أعجب بهم، وبمن تأثّر بهم من القدماء والمحدثين، كأبي حيّان التّوحيدِيّ والجاحظ وطه حسين وأحمد حسن الزّيّات، وشوقي ضيف، وفيها ذكر لعدد من أصدقائه وتلامذته، وفيها كلام على كتبه المؤلّفة والمحقّقة والمترجمة ومنهجه فيها، وقد ذكر صراحة ما قام به مجموعة (غلّمان الصّحافة) كما أطلق عليهم من نقد وتحرّش، وفيها موازنات بين عدد من المدن الّتي درس فيها وأقام مثل: حيفا ويافا والقاهرة والخرطوم وبيروت وعمّان، لقد كانت هذه الحوارات معيّنًا خصبًا لمن يرغب في الكتابة عن عبّاس وتراثه الضّخّم.⁽¹⁾

7- جماعة الدّيوان وعمر الخيّام: يقع الكتاب في 165 صفحة، وصدر عن المؤسسة العربيّة للدراسات والنّشر عام 2004، والكتاب دراسة عن جماعة الدّيوان وعمر الخيّام، وفيه دليل على عناية كلّ من العقّاد والمازني في الكتابة عن الخيّام وعن الرّباعيّات، والّتي تمثّلت بترجمة كلٍّ منهم عددًا من الرّباعيّات، ما أدّى إلى تحوّل

¹- بكار، يوسف حسين، حوارات إحسان عبّاس، بيروت: المؤسسة العربيّة للدراسات، 2004.

في اعتقادهم عنها، فالعقاد انتقل من التأثر السلبي المقارن إلى موقف علمي معتدل جرّاء اطلاعه على مصادر شتى غير منظومة فيتزجيرالد، وعبد الرحمن شكري عبّر عن إعجابه بترجمة ثلاث رُباعيّات تأثر بها في شعره، أمّا المازني فقد قاده إعجابه الشديّد بالخيام والرُباعيّات أن دافع عنه، وذلك برّد تهمني الصوفيّة والأبيقوريّة عنه، وأن يتصدّى لترجمات السباعي ورامي والصّراف، وقد أدّى ذلك إلى أن قام بترجمة عدد من الرُباعيّات التي بدا أثرها جليّاً في شعره، كما رصد ما ترجمه كلُّ واحد من الثلاثة واستخرجه من مظانّه، وأثبتته في الفصل الخاصّ به، وأتبع كلّ رُباعيّة بأصلها الإنجليزيّ والفارسيّ لرُباعيّتين ممّا ترجم العقاد؛ لأنّ العقاد وشكري اختارا رُباعيّات وترجماها دون أن يثبتا أصولها، أمّا المازني فهو الوحيد الذي أتبع ترجمة كلّ رُباعية ممّا ترجم بأصلها الإنجليزيّ إلا رُباعيّات الطّبعة الأولى من (حصاد الهشيم) الثلاث ورُباعيّات الديوان الثلاث كذلك، ولم يكتف بكار بذلك وإنّما تكلم على حقيقة ترجمتي العقاد والمازني، ونقدتهما واكتفى ببعض التّماذج، في حين لاحق شكري ملاحقة نقديّة، لأنّ هدفه من التّرجمة يختلف عن هدف زميليه، وأورد في فصل العقاد كلّ ما كتبه عن الخيام مرتّباً تاريخياً لإحياء هذه الوثائق، وتأكيداً لما أثبتته الدّراسة من التّغيّر والتّطوّر اللّذين اعتورا مسيرته في كتاباته تلك.⁽¹⁾

8- في العرّوض والقافية: يقع الكتاب في 255 صفحة، وصدر عن دار الرّائد للنشر والتّوزيع عام 2006، وقد جاء الكتاب ثمرة جهود ذاتيّة لتدريسه مادّة العرّوض في الجامعات، أفاد فيه من المصادر القديمة والمراجع الحديثة، إلاّ أنه أضاف إليها

¹- بكّار، يوسف حسين، جماعة الديوان وعمر الخيام، بيروت: المؤسسة العربيّة للدراسات، 2004.

وحذف منها وعدل على بعضها، لكي ييسرها للطالبة، ويدحض فكرة صعوبة العروض والقافية وكثرة مصطلحاتها وتشعبها واستعصاءها على الدارسين.⁽¹⁾

9- بناء القصيدة في النقد العربي القديم (في ضوء النقد الحديث): يقع الكتاب في 392 صفحة، وطبع مرّات عديدة، وهو في الأصل رسالة الدكتوراة التي قدّمها بكّار لجامعة القاهرة للحصول على درجة الدكتوراة التي حصل عليها مع مرتبة الشرف الأولى، والجديد في الكتاب أنّ بكّار تناول بناء القصيدة العربيّة برؤية حديثة، فتناول عدّة قضايا تناولها النقاد القدماء، ولا زال لمّا تختمر في عقول الدارسين بعد، لأنّ تناولها لم يكن كافياً، ومن أهمّ القضايا التي تناولها: تعريف القصيدة، وتقسيم القدماء للشعر إلى قصيدة ورجز ومسّمط ومزدوج، ونظم القصيدة، والموهبة الشعريّة، كما تطرّق في الفصل الثّاني إلى اللفظ والمعنى، ولغة القصيدة، والموسيقى. وفي الفصل السّادس تناول هيكل القصيدة، وفي الرّابع تناول الوحدة في القصيدة. ثمّ ختمه بنتائج البحث.

أما عن منهجه في البحث فقد كان لا يكتفي بالموازنة بين النّقدين القديم والحديث في بناء القصيدة، بل التزم المنهج التّاريخي، إذ كان يرصد كلّ آراء القدماء التي يلتقون فيها مع المحدثين، ولم يكتف بالمنهج التّاريخي الذي يرصد كلّ المسائل، بغضّ النظر عن صوابها أو خطئها، بل راعى المنهج النّقدي الذي يبيّن الخطأ من الصواب، ويكشف عمّا اتّفق وما لم يتّفق فيه النّقدان القديم والحديث، وتخطّى هذين النّقدين أحياناً إلى الشعر لتحكيمه في قضايا أدرك تقصير القدماء في استقرارها ورصدها، وتجيّ المحدثين عليها، وأفاد ممّا كتب ابن

¹- بكّار، يوسف حسين، في العروض والقافية، بيروت: دار الرّائد، ط3، 2006.

طباطبا والقرطاجي، ومن المحدثين أفاد من مصطفى سوييف وصلاح عبد الصبور والبيوت⁽¹⁾.

ومن أهم القضايا التي تناولها الكتاب:

أولاً: تعريف القصيدة: فقد أشار إلى اختلاف النقاد القدامى في تعريف القصيدة، فمعظم القدامى يأخذ القصيدة من القصيد، وهو ما تم شطر أبياته أو شطر بنيته، فأشار إلى ما ذهب إليه الفراء من أن القصيد مأخوذ من المَخِّ القصيد، وهو المتراكم بعضه على بعض، أو المَخِّ السمين الذي يتقصّد (أي يتكسّر) لسمنه.

أما عن سبب التسمية فقيل لأنه قصد واعتمد، أو لأنّ قائله احتفل له فنقّحه باللفظ الجيد والمعنى المختار، وقيل سمي الشعر التأمُّ قصيداً لأنّ قائله جعله من باله فقصد له قصداً، ولم يَحْتَسِبْ حسياً على ما خطر بباله وجرى على لسانه، بل روى فيه خاطره واجتهد في تجويده ولم يقتضبه، كما أشار إلى تعريف ابن رشيق الذي ذهب إلى أنّ اشتقاق القصيدة من قصدت إلى الشيء وكأنّ الشاعر قصد عملها على تلك الهيئة⁽²⁾.

لكنّه أشار إلى أنّ ما يؤخذ على هذه التعريفات أنّ الرَجَزَ وغيره من الأنماط الأخرى التي ألحقوها بالقصيدة تدخل فيها لأنّ عملها مقصود هي الأخرى، وأنّ كلّ التعريفات السابقة مأخوذة من الأصل اللغوي، ولا يمكن أن تكون تعريفاً للقصيدة التي أهملها النقاد، وهو لا يرى سبباً لذلك سوى اكتفاءهم بالمعاني التي حدّدها اللغويون واحتوتها المعاجم⁽³⁾.

¹- بكّار، يوسف حسين، بناء القصيدة في النّقد العربيّ القديم (في ضوء النّقد الحديث)، بيروت: دار الأندلس، ط2، 1983، ص10.

²- بكّار، م. س، ص23.

³- بكّار، م. س، ص24.

لكنَّ الغربيين كان لهم تعريفات مختلفة، وذلك للطَّن في الشَّعر العربيّ، فيذهب لاندبرج إلى أنَّ معنى قصيدة (شعر الغرض والقصد) ويغلو في تعليل ذلك، فيقول: إنَّ كلَّ مساومة وإتجار بالشَّعر القديم، وكلَّ جشع لا يعرف الشَّبع في الفطرة العربيَّة وجد التَّعبير عنه في القصيدة العربيَّة. ويرى جورج يكوب أنَّ كلمة قصيدة تعني شعر التَّسؤل، إلَّا أنَّ بكار قد استند إلى بروكلمان في دحض رأيهما، فبيَّن أنَّ القصد لم يكن في القديم ولا الحديث كسب الجزاء المادّي. أما كولردج فيرى بأنَّها ذلك النَّوع من التَّأليف الَّذي يتعارض مع المؤلَّفات العلميَّة بأن يجعل المتعة لا الحقيقة هدفه المباشر.

أما التَّقد العربيُّ الحديث فهو يرى أنَّه لم يعثر فيه إلَّا على تعريف واحد، وهو القصيدة بناءً يتركَّب من العناصر والقوى الَّتِي تتظاهر على نحو يتمُّ فيه تكامل المعاني الشَّعريَّة المتبلورة في حقائق لغويَّة، فالعالم الَّذي تتألَّف منه القصيدة عالم متجانس تتلاقى أفكاره وتتعاقب في حركة مطَّردة، وهذا -كما يرى- يصدق على القصيدة العربيَّة كما يصدق على سواها⁽¹⁾.

كما أشار إلى مسألة أخرى شغلت اللُّغويين القدامى وشارك فيها بعض النُّقاد، ألا وهي عدد الأبيات الَّتِي تستحقُّ أن تحمل اسم قصيدة، فالأخفش يرى أنَّ القصيدة ما كانت على ثلاثة أبيات، أمَّا ابن جيِّي فيرى أنَّ القصيدة ما تجاوزت أبياتها الخمسة عشر، وما دون ذلك قطعة، والفرَّاء يرى أنَّها ما بلغت العشرين بيتاً فأكثر⁽²⁾.

كما طرح قضية تفضيل القصيدة، وأشار إلى أنَّ النُّقاد قسَّموا الشَّعر إلى قصيدة ورجز ومسمَّط ومزدوج، وتحدَّثوا عن القطع والمقصِّدين والمقطَّعين من الشُّعراء، وهو يرى أنَّه على الرِّغم من تعدُّد الأشكال والمسمَّيات فقد ظلَّت القصيدة النَّوع المفضَّل

¹ - بكار، بناء القصيدة، ص 22.

² - بكار، م. س، ص 22.

لدى الشُّعراء والنُّقَّاد على حدِّ سواء، فقد كان ابن وهبِ الكاتب البغدادي يرى أنَّ الرجز ملحق بالقصيد الَّذي هو أحسن الشُّعر، وكان ابن رشيقي يرى أنَّ الأرجوزة لا تسمَّى قصيدة طالَت أم قصرت إلَّا أن تكون من أحد أنواع الرِّجَز، وأنَّ القصيد يطلق على الرِّجَز، أمَّا الرِّجَز فلا يطلق على كلِّ قصيد، كما ذكر حملة أبي العلاء المعري على الرِّجَز والرُّجَاز⁽¹⁾، الَّذي قال: "إنَّ الرِّجَز كلُّه ليس بشعر" وقال:

قَصْرَتَ أن تدرك العلياء في شرف .. إنَّ القصائد لم يلحق بها الرِّجَزُ
 أمَّا المخمَّسات والمسمَّطات فقد كان المقياس الَّذي يتَّبَعه النُّقَّاد في الحكم عليها نظرتهم إلى الشُّعر القديم والقدماء، فقد قال ابن رشيقي: "وقد رأيت جماعة يركبون المخمَّسات والمسمَّطات ويكثرُون منها، ولم أرَ متقدِّمًا حاذقًا صنع شيئًا منها، وهي: "دالَّة على عجز الشَّاعر وقلة قوافيه وضيق عطفه. أمَّا المزدوجات فقد حرَّمها النُّقَّاد من اسم قصيدة مهما طالَت رغم شيوعها"⁽²⁾.

كما تتبَّع تفضيل القصيدة عند المعاصرين، فقد أورد رأي عبد الله الطَّيِّب المجذوب الَّذي يرى أنَّ الأراجيز من ملحقات القصائد، والمقاطع والمزدوج والمسمَّط والموشَّح وسائر ما افتنَّ فيه المتأخِّرون ممَّا لا يجوز إلحاقه بالقصائد والمقاطع... القصيدة هي جوهر الشُّعر العربيِّ وعلما مداره. وتكلَّم عن القصيدة الجاهليَّة والنَّد القديم، ثمَّ انعطف إلى القصيدة الفارسيَّة⁽³⁾.

كما طرح قضيَّة صناعة الشُّعر، حيث تتبَّعها تنبُّعًا تاريخيًّا منذ أرسطو حتَّى اتَّساعه وانتشاره في النَّد الحديث، وقبل أيِّ توضيح رجع في الأوَّل إلى مصطلح الصِّناعة الَّذي قال: "إنَّا متكلِّمون الآن في صناعة الشُّعر وأنواعها وفروعه في مواطن

¹- بكَّار، م. س، ص 25، 26.

²- بكَّار، بناء القصيدة، ص 27.

³- بكَّار، م. س، ص 28، 29.

متعدّدة من كتابه (فنّ الشّعْر)، ثمّ أشار إلى اشتقاق كلمة شاعر عند النّاقِد الإنجليزي ماكيل جون ألدي أشار إلى أنّ كلمة شاعر مشتقّة من الكلمة اليونانيّة صانع، ويضيف بكَار أنّ النّقْد الحديث الأجنبيّ والعربيّ يستعمل الاصطلاح استعمالاً واسع الانتشار، وليس ببعيد أن يكون مردهُ الأصل اليونانيّ، ثمّ أتى بقول تشارلتن: فالشّعْر عندنا هو كلام يصنعه ويؤلّف بينه الشُّعراء.⁽¹⁾

كما أشار إلى أنّ النّقْد القديم قد دأب على استعمال مصطلحات مثل (عمود الشّعْر)، أو (صناعة الشّعْر)، أو (نظم الكلام) حين تعرّض لقضيّة (الخلق الفتيّ)، وأشار إلى أنّ أوّل من استعمله من العرب كان بشر بن المعتمر (ت210 هـ)، ثمّ شاع عند الجاحظ (ت255هـ)، وقُدّامة بن جعفر (ت337هـ)، وأخيراً ابن خلدون (ت808هـ). وهو يرى أنّ فكرة عمل القصيدة أو صناعتها في النّقْد القديم تمثّل شيئاً من الجانب التّوجيهيّ فيه.⁽²⁾

ثمّ تحدّث عن الموهبة الشّعريّة، فقال: على الرغم من طغيان مفهوم الصّناعة على الشّعْر خاصّة، والأدب عامّة في النّقْد القديم فقد قال أكثر النّقّاد بضرورة الموهبة والطّبع في الشّاعر أوّلاً، ودعوا إلى دعمهما بالثقافة والمراس. وفصّل الحديث عن الأسس المكتسبة أو ما يعرف بالإطار الشّعريّ، الذي يتمثّل في الاطّلاع على آثار الشُّعراء السّابقين وكثرة القراءة والتّزوّد بثقافة كافية، وبين أنّ النّقْد الحديث يولي الإطار الشّعريّ اهتماماً كبيراً، فالإنجليزيّ بن جونسون يرى أنّ من شروط الكتابة الجيّدة القراءة لأحسن المؤلّفين والاستماع لأحسن المتكلّمين، والإكثار من المران.⁽³⁾

¹- بكَار، م. س، ص43.

²- بكَار، م. س، ص47، 48.

³- بكَار، بناء القصيدة، ص54، 55.

لكنّه يعود إلى التّقد القديم، ويؤكّد أنّه عرف الأسس المكتسبة في حدود ظروفه ومفاهيمه، وأدرك ما للثقافة وما يرتبط بها من دور كبير وأساسيّ في الإنتاج الأدبيّ شعراً ونثراً، فالأصمعيّ في الشّعر وابن المدبّر في النّثر من أوّل من عرفوا هذا. يقول الأصمعيّ: لا يصير الشّاعر في قريض الشّعر فحلاً حتّى يروي أشعار العرب، ويسمع الأخبار، ويعرف المعاني، وتدور في مسامعه الألفاظ. ثمّ أشار إلى رأي كلّ من ابن طباطبا وحازم القرطاجيّ وابن رشيق وابن سنان الخفّاجي وابن خلدون. ويؤكّد أنّ القدامى قد أدركوا قبلاً ما أدركه المحدثون من أجنب وعرب.⁽¹⁾

كما أشار إلى أهميّة العروض في الشّعر وتتبعه وتتبعه تاريخياً مثل سائر القضايا، فالقدامى لا يرون أنّ تعلّم العروض يخلق شاعراً، لكن لا بأس بمعرفته، وبدأ بقدامة بن جعفر إلى أن وصل العصر الحديث، فأورد رأي مندور وشوقي ضيف، الذي يقول: كم من أشخاص يتقنون قواعد العروض والقوافي، وهم لا يحسنون نظم بيت من الشّعر.⁽²⁾

وأتى على بواعث الشّعر ومحركاته، فهي عند أرطاة بن سهية الطّرب والغضب والرّهب، وعند كثير الرّباع المخلبة، والرّياض المعشبة، ولا يكاد الأمر يختلف عند المحدثين من الشّعراء، إذ اعتاد شيلّر أن يشمّ رائحة التّفاح الفاسد في أثناء نظم القصائد، ثمّ ينتقل إلى العرب فيعرض رأي خليل مردم الذي كان يشترط الانفراد والهدوء.⁽³⁾

¹- بكّار، م. س، ص 56-59.

²- بكّار، م. س، ص 60، 61.

³- بكّار، م. س، ص 66، 67.

كما عمل تتبُّعاً تاريخياً لوقت النِّظْم فبعض الشُّعراء كان يرى أنَّ وقت السَّحر هو الأنسب، ورفض إلياس أبو شبكة ذلك، وقال إنَّ الشاعر ليس حدَّاداً ولا نجَّاراً يذهب إلى العمل في ساعة معيَّنة ثمَّ يعود في ساعة أخرى.

وتحدث عن خلق القصيدة ومراحلها، وأشار فيها إلى صعوبة الشِّعر، وكيفيَّة خلق القصيدة، وأنواع القصيدة، ومراحل خلق القصيدة الَّتِي تتمثَّل في رأي القدماء الَّذين يرون أنَّ لها أربع مراحل هي مرحلة التَّفكير والإعداد، ومرحلة الشُّروع في النِّظْم، ومرحلة التَّأليف والتَّنسيق، ومرحلة التَّنقيح، ثمَّ تحدَّث عن مراحلها عند المحدثين من أمثال صلاح عبد الصَّبور وعبد الحميد يونس، وغيرهما. كما تطرَّق إلى الضَّرورات الشِّعريَّة وتتبعها عند القدماء والمحدثين فهناك من يؤيِّدها مثل السَّحرتي، وهناك من يرفضها مثل ابن طباطبا وابن خلدون ونازك الملائكة.⁽¹⁾

وفي الفصل الثَّاني تحدَّث عن أركان القصيدة، وهي: اللَّفظ والمعنى، إذ بدأ بمذاهب النُّقاد في اللَّفظ والمعنى، فبعضهم يفضِّل اللَّفظ، والبعض الآخر يفضِّل المعنى وتتبعها عند الجاحظ الَّذي يفضِّل اللَّفظ، ثمَّ قُدَّامة الَّذي يرى بالترابط التَّام بين اللَّفظ والمعنى ويؤيِّده الأمديُّ والباقلانيُّ وابن رشيق، وتطرَّق إلى نظريَّة النِّظْم عند عبد القاهر الجرجانيِّ، ثمَّ أورد فئة متناقضة متردِّدة يمثِّلها أبو هلال العسكريِّ، وفئة أخرى تفصل بين اللَّفظ والمعنى فصلاً لا يبين منه ترجيح لأحدهما على الآخر، وعلى رأس هذه الفئة ابن فُتَيْبة الَّذي قسم الشِّعر إلى: ضربٍ حَسَنَ لفظه وجاد معناه، وضربٍ حَسَنَ لفظه وجاد، فإذا فُتِّشته لم تجد فائدة في المعنى، وضربٍ جاد معناه وقصرت ألفاظه عنه، وضربٍ تأخَّر معناه وتأخَّر لفظه.⁽²⁾

¹- بكَّار، بناء القصيدة، ص 106-110.

²- بكَّار، م. س، ص 111-139.

كما تحدّث في الفصل الثّاني عن لغة القصيدة، وبدأ برأي ابن رشيّق من أنّ للشّعراء ألفاظاً معروفة وأمثلة مألوفة لا ينبغي للشّاعر أن يعدّوها، ولا أن يستعمل غيرها، كما ذكر موقف الجرجانيّ من المتنبيّ في استعماله لفظ (ذا)، وموقف ابن الأثير وابن قُتيبة، وأشار إلى أنّهم التفتوا إلى أنّ هناك لفظاً ليس شعريّاً، وتتبع هذا الرّأي عند المحدثين.⁽¹⁾

وتتبع نظرة كلّ من القدماء والمحدثين إلى أسلوب القصيدة، ويبنّ أنّ القدماء نظروا إلى أنّ أسلوب الشّاعر في الغزل يختلف عن أسلوبه في الهجاء، وبدأ بالجرجانيّ فالقرطاجيّ الذي أفرد له عنواناً خاصّاً لأنّه يهتمُّ بالأسلوب. كما فرّق بين الأسلوبين التّعبيريّ والتّقيريّ، يقدّم الشّاعر في الأوّل تجربته تاريخاً للأخريين استشفاف ما فيها من أفكار، أمّا الثّاني فيقدّم فيه الشّاعر تجربته تقديمًا تقريّاً مباشرًا.⁽²⁾

كما تطرّق إلى الوزن وتتبع كذلك من يؤيّده ومن يعارضه، وهو يرى أنّ أكثر النّقاد القدامى لم يعرضوا للقضيّة، وممن وقف عند هذه القضيّة ابن طباطبا وأبو هلال العسكريّ، ونصّاً على الرّبط بين وزن القصيدة وموضوعها، ثمّ أتى برأي أرسطو والقرطاجيّ، ويؤيّدهم من المحدثين شكري عياد. أمّا الخليل بن أحمد فيرى أنّه لم ينتبه للقضيّة، وهو في هذا يعارض عزّ الدين إسماعيل الذي أشار إلى محاولة ربط الخليل بين بعض الأغراض وبعض الأوزان. وتحدّث عن الوزن المنشود في النّقد القديم، وهو أن يكون سهل العروض، أمّا بالنّسبة إلى الزّحافات فإنّ النّقاد يقفون موقفاً متشدّداً من الزّحافات التي وقعت للشّعراء في قصائد على أوزان الخليل نفسها. وتحدّث عن التّصريح والتّصريح والقافية والصّلة بينها وبين موضوع القصيدة،

¹ - بكّار، م. س، ص 140-148.

² - بكّار، بناء القصيدة، ص 149-158.

وعيوبها مثل القافية المستدعاة، الإقواء والإكفاء والإيطاء والسناد، والتّضمين. وتحدّث عن الموسيقى الدّاخلية وتتبعها عند القدماء والمحدثين.⁽¹⁾

وفي الفصل الثّالث تحدّث عن هيكل القصيدة، وهو يرى أنّ القدماء قد اهتموا به اهتماماً ملحوظاً، وكانت لهم في كلّ منها معايير وشروط، وراعوا فيها اعتبارات نفسيّة واجتماعيّة، وقد اهتموا بالمطلع والمقدّمة والمقطع، ولم يهتموا بالمطلع، في حين كانوا يرون أنّ مقدّمة القصيدة ضرورة لازمة، ولم ينصرف اهتمامهم فيها إلّا إلى الطلليّة والغزليّة، أمّا طول القصيدة فليس لهم فيه رأي حول طول محدّد، والعلاقة بين طول القصيدة والوزن والقافية لم يلتفت إليها سوى قلّة، وقد نظر القدماء إلى أجزاء القصيدة معياراً للمفاضلة بين الشعراء، لكنّ أحكام النّقاد فيها كانت ذاتيّة ذوقية لا تستند إلى موضوعيّة، وأنّ الاهتمام بها بدأ قبل أرسطو.⁽²⁾

أمّا الفصل الأخير (وحدة القصيدة) فقد استنتج أنّ القدماء لم يهتموا بها، لأنّ ابن طباطبا لم يفهم منها سوى الرّبط بين الأجزاء وحسن تجاورها والملاءمة والتّوفيق بين الأبيات ووصلها وصلّاً، كما تطرّق إلى رأي الجرجانيّ الذي لو وجّه نظره إلى أجزاء الكلام واشتداد ارتباطها من عقال الجملة والبيت والبيتين إلى القصيدة لكان إدراكه للوحدة أحسن ما يكون في نقدنا القديم، وهو يرى أنّ حازم القرطاجيّ أكثر المتحدّثين حول الوحدة، وأوّل ناقد يتحدّث عنها وعن التحام الأجزاء والتناميها في قصيدة، لكنّ الوحدة عنده ليست عضويّة بل تسلسليّة منطقيّة. وعلى الرّغم من عدم وضوح مفهوم الوحدة العضويّة في النّقد القديم إلّا أن بكار حاول إثباته بقصائد للشّنفرى

¹- بكار، م. س، ص 158-199.

²- بكار، م. س، ص 202-274.

والخُطْبَةُ وبِشَّارِ وابْنِ الرُّومِيِّ تَمَثَّلَتْ فِيهَا الْوَحْدَةُ الْعَضْوِيَّةُ تَمَثُّلاً وَاضِحًا بِمُسَاعَدَةِ الْأَسْلُوبِ الْقِصَصِيِّ فِي بَعْضِهَا.⁽¹⁾

وَأَمَّا وَحْدَةُ الْبَيْتِ وَاسْتِقْلَالُهُ فظَاهِرَةٌ كَبْرَى فِي النَّقْدِ الْقَدِيمِ، وَرَبَّمَا كَانَ مِنْ أَسْبَابِ ذَلِكَ رَأْيُ النَّقَّادِ فِي أَهْجَى بَيْتٍ، وَأَغْزَلَ بَيْتٍ، وَاهْتِمَامُهُمُ بِالشُّوَارِدِ، وَالنَّقَّادِ فِيهَا قِسْمَانِ: أَحَدُهُمَا نَصَّ عَلَيْهِمَا صِرَاحَةً، مِثْلَ ابْنِ سَلَامِ الْجُمَحِيِّ، وَالصَّوْطِيِّ، وَالْقَاضِي الْجُرْجَانِيِّ، وَالْمَرْزُوقِيِّ، وَابْنِ رَشِيقٍ. وَالْآخَرُ لَمْ يَنْصُوا عَلَى هَذَا صِرَاحَةً، بَلْ نَسْتَشْفَهُهُ اسْتِشْفَافًا مِنْ آثَارِهِمْ، وَهَمَّ الَّذِينَ عَدُّوا التَّضْمِينَ عَيْبًا مِنْ عِيُوبِ الْقَوَافِي، وَقَدْ سَعَى قِدَامَةُ الْبَيْتِ مِنْ هَذَا النَّوعِ (مَبْتُورًا)، وَمِنْهُمْ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ، وَالْعَسْكَرِيُّ وَابْنُ رَشِيقٍ، وَالْقَرَطَاجِيُّ.

وَعَلَى الرَّغْمِ مِنْ ذَلِكَ فَقَدْ وُجِدَ فِي الشُّعْرَاءِ وَالنَّقَّادِ مِنْ تَمَرَّدِ عَلَيْهِمَا، وَمِنْهُمْ الْجَاحِظُ، وَابْنُ قُتَيْبَةَ وَالْمُبَرِّدُ، ثُمَّ تَحَدَّثَ عَنْ أَسْبَابِ وَحْدَةِ الْبَيْتِ وَهِيَ اهْتِمَامُهُمْ بِفِكْرَةِ الْمِثْلِ السَّائِرِ وَشِوَارِدِ الْأَبْيَاتِ الَّتِي ذَكَرَهَا الْجُرْجَانِيُّ أَنَّهَا كَانَتْ مَقْيَاسًا مِنْ مَقَايِسِ الْمَفَاضِلَةِ وَالْمُؤَازَنَةِ بَيْنَ الشُّعْرَاءِ، ثُمَّ يَذْكَرُ رَأْيَ الْمَعَاصِرِينَ وَتَفْسِيرَاتِهِمْ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَذْهَبُ إِلَى أَنَّهُ كَانَ لِمِيلِ الْبَلَاغَةِ الْعَرَبِيَّةِ إِلَى الْإِيْجَازِ أَثْرٌ فِي مَفْهُومِ وَحْدَةِ الْبَيْتِ، وَبِكَارٍ يَرَى أَنَّ هَذَا لَيْسَ مَقْنَعًا؛ لِأَنَّهُ قَدْ تَبَيَّنَ فِي بَحْثِ طُولِ الْقَصِيدَةِ مَوْقِفَ النَّقْدِ مِنْ قِضِيَّتِي الطُّوْلِ وَالْقَصْرِ، إِذْ كَانَ يَنْصُ فِي الْغَالِبِ عَلَى تَوْجِيهِ كُلِّ مِنْهُمَا فِي مَكَانِهِ الْمُنَاسِبِ، وَحَسَبَ مَا يَقْتَضِيهِ الْمَوْقِفُ⁽²⁾.

إِنَّ أَهْمِيَّةَ الْكِتَابِ تَكْمُنُ فِي أَنَّهُ مِنْ الدِّرَاسَاتِ الْأُولَى الَّتِي أَصَلَّتْ لِبُذُورِ النَّقْدِ الْحَدِيثِ، حَيْثُ كَشَفَ الْبَحْثُ أَنَّ النَّقْدَ الْحَدِيثَ يَلْتَقِي بِالنَّقْدِ الْقَدِيمِ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأُمُورِ، مِنْ مِثْلِ نَظَرَةِ النَّقْدِ إِلَى عَمَلِيَّةِ الْإِبْدَاعِ، وَفِي تَعْرِيفِ الْقَصِيدَةِ وَأَرْكَانِهَا، وَعَنْ

¹ - بَكَارٍ، بِنَاءُ الْقَصِيدَةِ، ص 275-338.

² - بَكَارٍ، م. س، ص 339-363.

إدراك النُّقد القديم لكثير من المسائل المتعلِّقة بالقصيدة كاختيار الوزن والقافية ومطلع القصيدة وموسيقاها الدَّاخِلِيَّة، وارتباط طول القصيدة بالتَّجربة الشُّعْرِيَّة. وهو يرى أنَّ النُّقد القديم اعتمد على تراثه وأصالته حسب واقعه ومفاهيمه، علمًا أنَّ نقدنا الحديث يعتمد أو يتبنَّى نظريَّات جاهزة مستوردة من الآداب الأخرى على علَّاتها.

كما كشف البحث أنَّ النُّقاد القدامى كانت لهم آراء نقدية وافية حول القصيدة وبنائها الفني، وعلى وجه الخصوص حازم القرطاجي وابن طباطبا العلوي، اللذين درسا كلَّ ما يتعلَّق بالقصيدة من خلقها ومحتواها ووزنها... وتتضح أهميَّة البحث في الكشف عن تحامل نقادنا المعاصرين على النُّقد القديم، سواء من كانوا معه أم عليه، وهذا يتطلَّب إعادة النَّظر في دراسة تراثنا النَّقديِّ وتقويمه؛ لأنَّ فيه قضايا كثيرة غابت عن القدامى والمحدثين من النُّقاد.

المراجع:

- 1- بكّار، يوسف حسين، إبراهيم طوقان (أضواء جديدة)، بيروت: المؤسسة العربيّة للدراسات والنّشر، ط1، 2004.
- 2- بكّار، يوسف حسين، الشّيخ، خليل، الأدب المقارن، عمّان: جامعة القدس المفتوحة، ط1، 1996.
- 3- بكّار، يوسف حسين، بناء القصيدة في النّقد العربيّ القديم (في ضوء النّقد الحديث)، بيروت: دار الأندلس، ط2، 1983.
- 4- بكّار، يوسف حسين، جماعة الديوان وعمر الخيام، بيروت: المؤسسة العربيّة للدراسات، 2004.
- 5- بكّار، يوسف حسين، حفريّات من تراثنا النّقدي، بيروت، عمّان: دار المناهل، دار الرّائد، ط1، 2007.
- 6- بكّار، يوسف حسين، حوارات إحسان عبّاس، بيروت: المؤسسة العربيّة للدراسات، 2004.
- 7- بكّار، يوسف حسين، الرّحلة المنسيّة-فدوى طوقان وطفولتها الإبداعية-دراسة ونصوص، بيروت: المؤسسة العربيّة للدراسات والنّشر، 2000.
- 8- بكّار، يوسف حسين، في دائرة المقارنة.. دراسات ونقود، عمّان: دار فضاءات للنّشر والتّوزيع، ط1، 2013.
- 9- بكّار، يوسف حسين، في العرّوض والقافية، بيروت: دار الرّائد، ط3، 2006.
- 10- عرود، أحمد ياسين، مناهج النّقد الأدبي في الأردن في النّصف الثّاني من القرن العشرين، بيروت: المؤسسة العربيّة للدراسات والنّشر، ط1، 2004.

المراجع الإلكترونيّة:

www.alghad.com/index.php -1

www.alrewaia.com -2

www.culture.gov.jo/ -3

